ظاهرة التوسع وأثرها في النحو العربي

د. درديري محمد أبو السعود

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعد : فان الاتساع ظاهرة من ظواهر اللغة ، وأسلوب من أساليبها ، وتركيب من تراكيبها ، يقصده الفصحاء ، ويرمى اليه البلغاء، ويلجأ اليه من رام الايجاز والاختصار •

فهو يدل — بلا شك — على مرونة هذه اللغة ، وترابط أجزائها ، وتناسب أوضاعها ، وقوة تداخلها وتلاحقها •

فلا عجب أن يكون غرضا من أغراض الناطقين ، وهدفا من أهدافهم • وهو مع سموه وكثرته فى كلامهم ، وسعته فى أسس تعاملهم، أجل من أن يحصى ، وأعظم من أن يستقصى ، وأكثر من أن يحاط به •

على أنه يجدر بنا أن نعرف الاتساع لغة ، واصطلاحا ، كى نتصور هذه الظاهرة ، ونحدد المراد منها ، حتى تكون على دراية بما تدل عليه وترمى اليه •

الاتساع لغة :

مصدر اتسع • يقال : وسع الشيء توسيعا فاتسع ، واستوسع أى : صاروا سعا ، ضد ضيقه • والتوسيع ضد التضييق ، كما يقال : توسعوا فى المجالس ، أى : تفسحوا (١) •

فالاتساع بهذا المعنى : صيرورة الشيء واسعا ، فهو ضد التضييق •

وفى الاصطلاح :

اجراء حذف من الكلام (٢) مع عدم اقامة التوسع فيه مقام المحذوف ، ولكنك تعربه اعرابه وتبقى عامله على حاله •

فهو ضرب من الحذف ، بيد أنك فى الحذف الذى ليس على سبيل التوسع ، تحذف العامل ، وتدع ما عمل فيه على حاله فى الاعراب ، وذلك هو الفرق بين الاتساع ومطلق الحذف •

ما يتحقق به الاتساع :

انما يتحقق الاتساع ويجرى مع الفعل اللازم ، والمتعدى الى واحد ، والمعتدى الى اثنين (٣) •

---

(١) الصحاح (وسع) ٣/١٢٩٨ والقاموس (وسع) ٣/١٩٧ •

(٢) الأصول لابن السراج ١/ ٢١١ ـ ٢٣٥ والكليات ١١ ، ١٢ والكتاب ١/١٧٦ والأشباه ١/١٥ ـ ١٩ والمساعد ١/٥٣٧ وغير ذلك •

(٣) انظر فى هذا : الكليات لأبى البقاء ص ١١ والمساعد ١/٥٣٨ • والأشباه ١/١٨ •

فمثال اللازم : اليوم قمته ، فقد تحقق التوسع بنصب ضمير الظرف على أنه مفعول به ، وليس ظرفا .

ومثال التوسع مع المتعدى الى واحد قولك : اليوم ضربته زيدا ، ومثال التوسع مع المتعدى الى اثنين قولك : اليوم أعطيته زيدا درهما. أما المتعدى الى ثلاثة فان الاتساع يمتنع معه . فلا يصح أن تقول : اليوم أعلمته زيدا عمرا قائما .

وانما امتنع الاتساع معه ، لأنه ليس هناك ما يشبه به ، اذ ليس فى الأفعال ما يتعدى الى أربعة .

أما ما يتحقق فيه الاتساع فهو ثلاثة أنواع :

١ ــ الاتساع فى المصادر .

٢ ــ الاتساع فى الظروف .

٣ ــ الاتساع فى التأويل .

أولا : الاتساع فى المصادر

المصدر المنتصب ، المفيد توكيدا ، أو المبين نوعا ، أو عددا ، يسمى مفعولا مطلقا ، نحو : سرت سيرا ، وسرت سيرا حسنا ، وسرت سيرتين .

وقد يتوسع فى المصدر المنصوب فيخرج عن هذا الأصل ، فلا يكون مفعولا مطلقا ، وانما يكون مفعولا به ، أو دالا على الزمان ، أو بدلا من التلفظ بالفعل . ويمكننا بيان ذلك على النحو التالى :

أ ـ مجيء المصدر مفعولا به :

ينصب المصدر المتصرف مفعولا به على التوسع (١) والمجاز وذلك اذا شغلت الفعل بغيره عنه ، نحو : ضرب به ضربا شديدا ، ونحو : سير عليه سيرا شديدا ، وضرب زيد ضربا فقد شغلت الفعل بغيره عنه لأنك أقمت غير المصدر مقام الفاعل . ونصبت المصدر مفعولا ، ولو لم يصح ذلك ، لما جاز أن يقع نائب فاعل حين قلت : ضرب ضرب شديد، وسير سير حسن . لأن وقوعه نائب فاعل ، فرع عن التوسع فيه بنصبه نصب المفعول به (٢) .

هذا . وقد يأتي المصدر مرفوعا على سبيل(٣) الاتساع والاختصار حين يشغل الفعل به ، وذلك نحو : سير عليه سيرتان أيما سير ، وضرب به ضربتان اذا أراد بيان العدد لمن سأل عن عدد السير أو الضرب ، فجرى على سعة الكلام والاختصار ، اذ السيرتان لا تساران ، وكذلك الضربتان لا تضربان .

وانما المعنى : كم سير الذى وقع عليه السير من سيرة ، وكم ضرب الذى وقع به الضرب من ضربة ، فأجيب على هذا المعنى بطريق الاتساع والاختصار .

قال سيبويه مؤكدا هذا المعنى : « وسمعت من أثق به من العرب يقول : بسط عليه مرتان ، وانما يريد : بسط عليه العذاب مرتين » (٣).

---

(١) انظر الكتاب ط هارون ١/٢٢٩ والأصول لابن السراج ١/٢٣١ ـ ٢٣٤ والأشباه ١/١٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ١/١٥ .

(٣) الكتاب ١/٢٢٩ ط هارون .

(٤) الكتاب ١/٢٣٠ .

ب ــ مجيء المصدر منصوبا دالا على الزمان

قد يأتى المصدر نائبا عن ظرف الزمان فينتصب (١) انتصابه ويفيد فائدته ، بشرط افادته تعيين وقت أو مقدار ، وذلك مثل قولهم : جئتك مقدم الحاج ، وخفوق النجم ، وطلوع الشمس ، وصلاة العصر ، وانتظرتك نحر جزور ، وحلب ناقة ، والأصل : زمن مقدم الحاج ، وحين خفوق النجم ، ووقت طلوع الشمس ، ووقت صلاة العصر ، ومقدار نحر جزور ، ومقدار حلب ناقة ، فقد حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو المصدر ، فانتصب انتصاب الظرف على سعة الكلام والاختصار .

وقد يأتى التوسع فى صفة الظروف (٢) فتقع ظرفا على سبيل الاختيار فتقول : سير عليه طويلا ، وسير عليه قليلا ، وسير عليه قديما ، وسير عليه حديثا ، وسير عليه كثيرا .

فقد نصبت الصفة فى جميع الأمثلة المتقدمة على الظرف ولم ترفع ، لأن الصفة لا تقع مواقع الاسم .

قال سيبويه : « ومما يختار فيه أن يكون ظرفا ، ويقبح أن يكون غير ظرف ، صفة الأحيان ، تقول : سير عليه طويلا ، وسير عليه حديثا » الخ (٣) .

---

(١) الكتاب ١/٢٢٢ والمقتصد ١/٢٤٣ وشرح الكافية الشافية ٢/٦٨٤ والأشباه ١/١٦ والأشمونى ٢/١٣٦ .
(٢) الكتاب ١/٢٢٧ والأشمونى ٢/١٣٦ .
(٣) الكتاب ١/٢٢٧ .

ومما ينبغى الاشارة اليه فى هذا الموضع ، هو أن المصدر قد ينصب دالا على المكان ، بمعنى أنه ينوب عن ظرف المكان فينتصب انتصابه • نحو : جلست قرب زيد ، أى مكان قربه ، ولكنه لا يقاس عليه لقلته ، بخلاف ظرف الزمان ، فان نيابة المصدر عنه يقاس عليها لكثرتها (١) بسبب قوة دلالة الفعل على الزمن •

ج : مجيئه منصوبا بدلا من التلفظ بالفعل :

من قبيل التوسع فى المصدر مجيئه منصوبا بدلا من التلفظ بفعله ، وذلك يتحقق فيما اذا كان مفصلا لما قبله ، أو مكررا ، أو محصورا (٢) •

فالمفصل لما قبله مثل قوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء » (٣) التقدير : فأما تمنون ، وأما تفادون • فقد أنيب المصدر مناب فعله • ومثله أيضا قول جرير :

ألم تعلم مسرحى القوافى فلا عيا بهن ولا اجتلابا (٤)

اذ التقدير : فأنا لا أعيا بهن عيا ، ولا أجتلبهن اجتلابا • والمصدر المكرر مثل : أنت مذ اليوم سيرا سيرا ، وكان عبد الله سيرا سيرا ، وان زيدا سيرا سيرا • وكذا فى ليت ، ولعل ، ولكن وكأن وما أشبه ذلك •

---

(١) الكتاب ١/٣٣٥ والأشمونى ٢/١١٨ والمساعد ١/٤٧٤ والكافية الشافية ٢/٦٦٠ •

(٢) الأشمونى والصبان ٢/١٣٦ •

(٣) من الآية ٤ فى سورة محمد •

(٤) ديوانه٦٢ والكتاب ٦/٢٣٣١ ، ٣٣٦ وأمالى ابن الشجرى ١/٤٢ •

فالمصدر في الأمثلة السابقة ـ كما رأيت ـ جاء مكررا ، وقد جعل التكرار بدلا من لفظ الفعل تسمحا وتوسعا .

وأما المحصور فمثل : ما أنت الا سيرا ، وانما أنت سيرا ، وما أنت الا قتلا ، وانما أنت قتلا ، وما أنت الا شرب الابل ، وما أنت الا ضرب الناس ، وهكذا .

التقدير : ما أنت الا تسير سيرا ، وتقتل قتلا ، وتشرب شرب الابل ، وتضرب ضرب الناس . فقد ناب المحصر مناب التكرير .

ومثل ما تقدم من نيابة المصدر عن التلفظ بالفعل ، ما جاء منه منصوبا بعد الاستفهام في نحو قولك : أقياما يا خالد والناس جلوس ؟ وأجلوسا والناس يقرون ؟ وقول عامر بن الطفيل :

« أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية ؟ » (١) ..

أراد : أأغد غدة كغدة البعير وأموت موتا في بيت سلولية . أي اذ في اغل غدة وموت ، ولم يرد أن يخبر عما مضى ، ولا عما يستقبل .

ومثل ذلك أيضا قول جرير :

أعبدا حل في شعبى غريبا ألؤما لا أبالك واغترابا (٢)

---

(١) الكتاب ٣٣٨/١ ومجمع الامثال للميداني ٥٧/٢ والمساعد ٤٧٢/١ وشرح الكافية الشافية ٤٦٦/٢ .

والمساعد ٤٧٢/١ وشرح الكافية الشافية ٦٦٤/٢ .

(٢) ديوانه ٦٢ والكتاب ٣٣٩/١ والعيني ٤٩/٣ وشرح الكافية الشافية ٦٦٤/٢ .

أراد : أتلوم لؤما وأتغترب اغترابا ، فحذف الفعلين ، وهو كثير في كلام العرب ، لأنهم جعلوه بدلا من اللفظ بالفعل .

قال سيبويه : « وعلى هذا يجرى هذا الباب اذا كان خبـــرا أو اســـتفهاما » (١) .

يعنى أنك اذا رأيت رجلا في حال سير ، فقلت مثبتا ذلك له : أنت سيرا ، أو مستفهما : أأنت سيرا ؟ فالفعل متصل في حال ذكـــرك اياه أخبرت أو استفهمت .

ثانيـــا :

التوســـع في الظـــروف

من المقرر في قواعد النحو أن الظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها ، وأن التوسع فيها سببه أنها مكان للحـــدث وزمان له . لأن كل حادث في الدنيا يكون حدوثه في زمان ومكان ، والانفكاك عنهما محال ، لأنهما من ضرورات الحادثات .

ونظروا لما بينهما من شـــدة الاتصال وقوته ، كان كل منهما مع كل شيء كجزئه وبعضه ، لا أجنبيا عنه (٢) .

لهذا كان التوسع في الظروف أكثر من التوسع في غيرها كالمصادر مثـــــلا .

---

(١) الكتاب ١/٣٣٩ .

(٢) الكتاب لأبي البقاء الحسيني ص ١٦ .

على أن جواز التوسع فى ظرف الزمان أو المكان مشروط بكونه متصرفاً ، فلا يجوز التوسع فيما لزم الظرفية مثل الآن ، وقط ، وعوض. لأن عدم التصرف مناف للتوسع (١) ، اذ يلزم من التوسع فيه ، كونه يسند اليه ، ويضاف اليه ، وذلك ممنوع فى عادم التصرف .

كما أن التوسع لا يمنعه اضافة الظرف الى المظروف المقطوع عن الاضافة المعوض مما أضيف اليه التنوين نحو : ذهب به ساعتئذ ، وسير عليه حينئذ .

بيد أن هذا التوسع فى الظروف قد ورد على أنواع مختلفة ، يمكننا بيانها فيما يلى :

١ ــ جعل الظرف مفعولا به مجازا :

الظرف : اسم وقت أو اسم مكان ضمن معنى (٢) «فى» باطراد . نحو : قمت يوم الجمعة أمامك . فناصب يوم وأمامك ، هو الفعل قمت ، والقيام وهو أحد مدلولى الفعل واقع فيهما .

فاذا لم يضمن معنى «فى» باطراد ، نصب على أنه مفعول به (٣) توسعا ، نحو : دخل بيتا ، وقام ليلا ، وصام شهرا ، وسرق الليلة . فظاهر التركيب على انه من غير تقدير فى ــ وان كان أصل المعنى على

---

(١) المساعد ١/٤٩٠ والأشباه ١/١٦ والكافية الشافية ٢/٦٨٠ .
(٢) المقتصد ١/٦٤٦ والمساعد ١/٤٨٩ والأشمونى ٢/١٢٦ وشرح الكافية الشافية ٢/٦٧٥ .
(٣) المساعد ١/٥٣٧ .

الظرفية ــ ومن ثمة يفهم منه غالبا قيام الليلة بتمامها ، وكذا فى البواقى، ولو كان بتقدير فى ، لم يفهم التمام .

فقد رأيت أن ظروف المكان مثل ظروف الزمان فى الاختصار (١) وسعة الكلام . وان كان التوسع فى ظروف المكان ليس مطردا فيها كلها كما فى ظروف الزمان ، لأن التوسع فى الأمكنة سماع (٢) نحو : نحا نحوك ، وقصد قصدك ، وأقبل قبلك .

ولا يجوز ذلك فى « خلف » وأخواتها . فلا تقول : ضربت خلفك ، فتجعله مضروبا ، وكذا لا يتوسع فيها بجعلها فاعلا كما فى الزمان . لأن ظروف الزمان أشد تمكنا من ظروف المكان .

٢ ــ وقوع الظرف خبرا :

يتوسع فى الظروف وما أشبهها فتقع أخبارا (٣) باطراد وذلك نحو : زيد عندك ، والقتال يوم الجمعة ، وزيد فى الدار . ولا يقع اسم الزمان خبرا عن اسم عين ، فلا يقال : زيد اليوم لعدم الفائدة ، بخلاف اسم المعنى فانه يخبر عنه بالظرف نحو : القتال اليوم ، وبخلاف ظرف المكان نحو : زيد خلفك .

---

(١) الكتاب ١/٢١٩ .

(٢) الكليات لأبى البقاء الحسينى ص ١٢ والأشباه ١٥/١٨ .

(٣) الكتاب ١/١٣٦ والمقتصد ١/٢٧٥ وما بعدها ، والمساعد ١/٢٣٥ والأشباه ١/١٦ والأشمونى ١/٢١٠ .

فكل من الظرف والجار والمجرور المخبر بهما فى الأمثلة السابقة متعلق بمحذوف • واختار ابن مالك كونه وصفا • والتقدير : زيد حسن عندك أو فى الدار ، فيكون الاخبار بالظرف من قبيل الاخبار بالمفرد ،لأن الأصل فى الخبر الافراد •

واختار عبد القاهر الجرجانى وغيره (١) كونه من قبيل الجمل لأنك حينما تقول : القتال اليوم يكون الظرف خبرا عن القتال ، على معنى أن الفعل الذى هو وقع ويقع قد ترك اظهاره ، وناب الظرف عنه فقيل : انه خبر توسعا وسواء أكان المتعلق به مصدرا ، أو فعلا،فالاخبار بالظرف من قبيل التوسع ، وتسمية الظرف خبرا تجوز وتوسع ، لأن الخبر فى الحقيقة هو عامل الظرف ، لأنك حين تقول : زيد خلفك أبوه ، أو فى الدار أبوه ؛ فالمرفوع بعد الظرف معمول للمحذوف حقيقة وهو كائن أو استقر •

لأن الأصل فى العمل للأفعال ، أو للأسماء المأخوذة منها ، ونسبة العمل الى الظرف تجوز وتوسع (٢) •

على أنه لا يخفى عليك أن كل حكم ثبت للظرف ، ثبت للجار والمجرور •

٣ — خروج الظرف بالاضافة عن الظرفية :

اذا وقع الظرف مضافا الى غيره صار اسما ، وخرج بالاضافة (٣)

---

(١) المقتصد ١/٢٧٥ والمساعد ١/١٣٦ •
(٢) المساعد ١/١٣٧ •
(٣) الأشباه ١/١٧ والمساعد ١/٥٣٧ •

عن أن يكون ظرفا ، لأن الظرف اذا دخل عليه الخافض خرج عن الظرفية ، ألا ترى أن « وسط » اذا دخل عليها الخافض صارت اسما ، بدليل التزامهم فتح سينها ، ووسط المفتوحة السين لا تكون الا اسما .

ثم ان الذى يضاف اليه الظرف المتوسع فيه انما هو المصدر أو الوصف .

فاضافة المصدر اليه تكون على طريق الفاعلية نحو قوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » (١) ، فالليل والنهار لا يمكران ، ولكن المكر واقع فيهما . وتم ذلك على سبيل التوسع والاختصار (٢) .

وعلى طريق المفعولية نحو قوله تعالى : «تربص أربعة أشهر» (٣) فالأشهر لا يقع عليها التربص ، وانما يقع فيها .

أما اضافة الوصف اليه فمثل : يا سارق الليلة أهل الدار فقد جعل الليلة مسروقة على سبيل التوسع والاختصار .

ومثله قولك : سرقت الليلة أهل الدار . والمعنى انما هو في الليلة ، غير أنهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام (٤) .

ولا يجوز : يا سارق الليلة أهل الدار . بنصب الليلة ، وخفض

---

(١) من الآية ٣٣ فى سورة سبأ .
(٢) الكتاب ١/١٧٦ والمقتصد ١/٦٤٩ .
(٣) من الآية ٢٢٦ فى سورة البقرة .
(٤) الكتاب ١/١٧٦ والأشباه ١/١٧ .

أهل • لوجود الفصل بين المضاف والمضاف اليه ، ولا يجوز الفصل بينهما الا فى ضرورة الشعر •

كما أنه لا يخفى عليك أن الفعل سرق من الأفعال التى تتعدى الى مفعولين يقال : سرق مالا ، كما يقال : سرق منه مالا •

هذا : وهناك نماذج أخرى للاتساع بالظرف وشبهه فى الأساليب العربية نذكر منها ما يلى على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر والاستقصاء • واليك البيان :

نماذج أخرى للاتساع بالظرف وشبهه

أ — لا يلى كان وأخواتها معمول الخبر الا اذا كان ظرفا أو شبهه :

لا يجوز عند جمهور البصريين أن يلى كان وأخواتها (١) معمول للخبر مطلقا سواء تقدم الخبر على الاسم نحو : كان طعامك آكلا زيد• أم لم يتقدم نحو : كان طعامك زيد آكلا • خلافا للكوفيين ، فانهم أجازوه مطلقا • الا اذا كان معمول الخبر ظرفا أو شبهه فانه يجوز أن يلى العامل اتفاقا نحو : كان عندك زيد مقيما ، وكان فى الدار زيد جالسا لأن الظروف وأشباهها يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها •

والأصل : كان زيد مقيما عندك ، وكان زيد جالسا فى الدار •

---

(١) التصريح ١/١٩٨ والمساعد ١/٢٧٦ والأشمونى ١/٢٤٨ •

ب — جواز تقديم خبر ما على اسمها اذا كان ظرفا أو شبهه :

من قبيل التوسع فى الظروف جواز تقديم معمول خبر ما عـــلى اسمها (١) اذا كان ظرفا أو شبهه نحو : ما عندك زيد قائما ، وما فى الدار عمرو جالسا .

فان كان غير ظرف أو مجرور بطل العمل ان تقدم نحو : ما طعامك زيد آكل .ومنه قول مزاحم العقيلى :

وقالوا : تعرفها المنازل من منى وما كل من وافى منى أنا عـــارف

فى رواية نصب كل . حيث أبطل عمل «ما» عند تقديم معمـــول خبرها الذى ليس ظرفا ولا مجرورا .

جـ — تقديم خبر ان وأخواتها اذا كان ظرفا توسعا :

يجب تقديم اسم ان وأخواتها وتأخير خبرها ، الا اذا كان الخبر ظرفا أو شبهه ، فانه يجوز تقديمه على الاسم ، وذلك نحو : ان أمامك عمرا ، وان فى المسجد خالدا . لأن الظرف الجار والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع (٢) فى غيرهما ، فلم يمتنع تقديمهما على الاسم بعد هـــذه الأحرف الناصبة . على أنه لا يخفى عليك أن تعلم أن حـــكم معمول خبرها حكم خبرها ، فلا يجوز تقديمه الا اذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا نحو : ان عندك زيدا مقيم ، وان فيك عمرا راغب .

---

(١) التصريح ١/٢٩٨ والمساعد ١/٢٧٨ والأشمونى ١/٢٦٠ .

(٢) المقتصد ١/٤٤٧ والتبصرة ١/٢٠٥ والمساعد ١/٣٠٩ والتصريح ١/٢٨٤ والأشمونى ١/٢٨٢ .

د ـ الفصل بين المتضايفين بالظرف توسعا :

اختلف النحاة فى الفصل بين المضاف والمضاف اليه (١) •

مذهب الكوفيون الى جواز ذلك مطلقا ، فى سعة الكلام وفى الشعر •

ففي سعة الكلام نحو : هذا غلام والله زيد ، وفى الشعر مثل قول الشاعر :

تمر على ما تستمر وقد شفت غلائل عبد القيس منها صدورها

التقدير : غلائل صدورها عبد القيس منها ، ففصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف على مذهب الكوفيين •

وذهب البصريون الى جواز الفصل بين المتضايفين بالظرف وشبهه فى الشعر فقط ، لأن الظرف وشبهه يتسع فيهما ما لا يتسع فى غيرهما • ومثل ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه : «هل أنتم تاركو لى صاحبى»

وقول الشاعر :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودي يقارب أو يزيل

وأضاف كف الى يهودى وفصل بينهما بالظرف ، وذلك من قبيل الاتساع •

---

(١) الانصاف المسألة ٦٠ والتصريح ٢/٥٩ والأشمونى ٢/٢٨٢ وشرح الكافية الشافية ٢/٩٧٩ •

هـ ــ الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالظرف توسعا :

اختلف النحاة فى الفصل بين التعجب ومعموله (١) .

فمنهم من منع الفصل ، بحجة أن فعل التعجب ضعيف ، لأنه جامد لا يتصرف ، وقد لزم طريقة واحدة فضعف بسبب ذلك ، فلا يقوى على العمل مفصولا بينه وبين عامله .

وأجاز قوم الفصل بالحال نحو : ما أحسن مقبلا زيدا ، أو المصدر نحو : ما أحسن احسانا زيدا . أو النداء كقـــول على رضى الله عنه : « أعزز على أبا اليقظان أن أراك صريعا مجدلا » (٢) وغـــير ذلك ، والصحيح جواز الفصل بالظرف وشبهه المتعلقين بالفعل نحو : ما أحسن اليوم عمرا ، وما أحسن فى الدار زيدا .

وانما جاز القصل بهما ، لأن الظرف والمجرور يتوســـع فيهمـــا ما لا يتوسع فى غيرهما ، ولأنه جاز الفصل بهما بين ان ومعمولها ، وليس فعل التعجب بأضعف منها فينبغى أن يجوز الفصل بهما فى التعجب .

ومما يدعم جواز الفصل ويؤكده كثرة ما ورد منه كما فى قـــول عمرو بن معدى كرب :

---

(١) انظر : التبصرة للصيمرى ٢٦/١ والرضى على الكافية ٨٩/٢ وشرح الكافية لابن مالك ١٠٩٦/٢ والهمع ٩١/٢ والتصريح ٩٠/٢ وابن يعيش ١٥٠/٧ وملاجامى على الكافية ٣٨٢ والأشمونى ١٩/٣ .

(٢) قال ذلك فى حق عمار بن ياسر حين رآه مقتولا . و مجدلا : أى مرميا على الجدالة وهى الأرض .

ما أحسن فى الهجاء لقاءها (١) •

وقول الشـــاعر :

خليلى ما أحرى بذى اللب أن يرى صبورا ولكن لا سبيل الى الصبر

وقول أوس بن حجر :

أقيم بدار الحزم ما دام حـــزمها وأحر اذا حالت بأن أتحولا (٢)

فقد فصل بين فعل التعجب ومعموله بالجار والمجرور فى المثـــال الأول والبيت الأول ، كما فصل باذا الظرفية بين أحر ومعموله فى بيت أوس بن حجـــر •

هذا : وبعد أن أوردت بعضا من النماذج التى تم فيها توســـع فى الظرف وشبهه ــ كما علمت ــ عليك ــ أيضا ــ أن تعلم أن هـــذا الظرف المتوسع فيه يجوز الاسناد اليه ، كما يسوغ اضماره غير مقرون بفى • وذلك يتضح فيما يلى :

١ ــ الاسناد الى الظرف المتوسع فيه :

قد يسند الى الظرف المتوسع فيه فاعلا نحو قوله تعالى : « فى يوم عاصف » وقوله تعالى : « يوما عبوسا قمطريرا » فاليوم لا يعصف ولا يعبس • وانما يعصف فيه ، وتعبس الوجوه فيه •

ونائبا عن فاعل نحو : ولد له ستون عاما ، وصيد عليه يومان •

---

(١) الهمع ٢/٩٠ ، والكافية الشافية ٢/١٠٩٧ •

(٢) هـذا البيت والذى سـبقه فى الهمـع ١/٩٠ والتصريح ٢/٩٠ والأشمونى ٣/٦٩ والكافية الشافية ٢/١٠٩٦ •

المعنى : ولد له الأولاد وولد له الولد ستين عاما ، وصيد عليه الوحش فى يومين . وتم ذلك كله على سبيل الاتساع والاختصار (١).

٢ ــ أضمار الظرف المتوسع فيه :

يجوز اضمار الظرف المتوسع فيه غير مقرون (٢) بفى . فاذا اتسعت فى الظرف ثم أضمرته لم تأت بفى ، وان كان أصل الظرف أن يتعدى اليه بواسطة فى ، لأنك فى هذه الحالة لم ترده ظرفا ، وانما أردته مفعولا به مجازا ، فتقول : اليوم سرته ان توسعت ، واليوم سرت فيه ان أردت الظرفية ولم تتوسع .

٣ ــ التوسع فى التأويل :

هذا النوع من الاتساع ، هو المسمى بالاتساع البديعى (٣) .

وهو أن يأتى الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظرين فيه بحسب ما تحمله الألفاظ ، كما فى فواتح السور ، فقد اختلف المفسرون واللغويون فى بيان مدلولاتها .

وكما اتسع النقاد فى تأويل المراد من أقوال بعض الشعراء ، مثل تأويلهم قول الشاعر :

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

---

(١) الكتاب ١/٢١١ والمساعد ١/٥٣٧ والأشباه ١/١٧ .

(٢) المقتصد ١/٦٥٠ والمساعد ١/٥٣٧ والأشباه ١/١٦ .

(٣) هذا النوع من الاتساع ليس مجاله هذا البحث ، ولكنى ذكرته تتمة لأنواع الاتساع . وانظره فى الكليات لأبى البقاء ص ١٢ .

منهم من يتأوله على معنى : تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا ، ومنهم من يتأوله على معنى تضوع نسيم الصبا ، وهذا التأويل أجود الوجوه وأحسنها •

على أنه لا يفوتنا أن نشير الى أن هناك مواضع أخرى حدث فيها اتساع وايجاز فى الجملة لا يمكن حصرها ، لأن الاتساع فيها جاء لعلم المخاطب بالمعنى (١) •

كما أنه ينبغى أن تعلم أن ما حدث فيه توسع ، لا يجوز التوسع فيه مرة أخرى (٢) ، فما توسع فيه وصار مفعولا به ، لا يتوسع فيه نفسه مرة أخرى فيجعل مجرورا بالاضافة •

وما جر بالاضافة ، لا يتوسع فيه مرة أخرى فينصب مفعولا به •

د• دردير محمد أبو السعود

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/٢١٢ ـ ٢١٦ •
(٢) الأشباه والنظائر ١/١٩ •